لقاء قناة الآن اللبنانية بالدكتور إبراهيم الجعفري
2009/6/2
(رؤية وطنية في مكافحة الفساد)

المقدم: ما طبيعة تيار الإصلاح الوطني، وأسباب نشأته، وما هي أهدافه، وهل هو جزء من حزب الدعوة أم مُنشقّ عنه؟

الجعفري: لقد مضى حتى الآن عام واحد على الاعلان عن تيار الإصلاح الوطني، وإنما أقول على الإعلان؛ لأن التيار تشكّل في تأريخ يسبق الإعلان عن تيار الإصلاح الوطني، أما طبيعته فهو عبارة عن تراكم نوعي وكمي، ووجد طريقه إلى قلوب الطبقات الاجتماعية المختلفة العراقيين، ومن الصعب أن أحدّد تأريخ انطلاقته كفكر وقيم وتلقيات من لدن العراقيين، لكني بلاشك كنت ألمسه من كثب منذ مرحلة المعارضة، وحتى في المعارضة... كان ديدني في التعامل مع الطبقات الاجتماعية المختلفة والخطاب والمفردات أقرب إلى طبيعة التيار كما كنتُ، ولم أزل أفهم أن طبيعة الدعوة الإسلامية هي ذات طابع تياري.

المقدم: هل الانشقاق عن حزب الدعوة الإسلامية هو الذي دفعكم إلى تأسيس تيار الإصلاح؟

الجعفري: ظاهرة الانشقاقات تختلف عن ظاهرة ولادة تيار إصلاح وطني.. تيار الإصلاح تيار عمل في مرتكزاته وأفكاره وأهدافه وقيمه، وهو عمل دعوي بالمعنى العام للدعوة كحالة إسلامية تتجاوز حدود الطوائف والقوميات، وفي تنظيره الخاص من الناحية الفكرية فإنه مستوحى من نظرية محمد باقر الصدر (قدس الله نفسه الزكية)، باعتباره منظّراً لحركة الدعوة الإسلامية وهذا أعمّ، فهو لا يقف عند حدود التنظيم بل حتى لا يقف عند حدود حزب الدعوة، ولا عند حدود حركة الدعوة وإنما ينساب، ويمتد إلى الآفاق الاجتماعية المشتركة، فيجد تلقّيات وطنية من الذين يختلفون مع الدعوة التنظيم والدعوة الحزب والدعوة الحركة، لكنهم لا يختلفون مع الدعوة التيار.

المقدم: يقول البعض: إن الفترة التي حكم فيها الدكتور الجعفري كانت فترة موصومة بالعنف والإرهاب وتفشّي الفساد في الوزارات.. كيف تعلّقون على هذا الموضوع؟

الجعفري: الشيء المتسالَم عليه هو إننا عندما تسلّمنا الحكومة كانت هناك حالات عُنفية واضحة، وأعمال إرهاب منتشرة في الشوارع، وكانت المعالجات تجنح إلى الدبابات والطائرات كما حصل في النجف والأنبار..

الحكومة التي سبقت الحكومة الانتقالية كان فيها عجز بالميزانية، ولم تكن هناك معالم دولة أصلاً، ولا معالم حكومة فضلاً عن أن دولة الحكومة شبه أغلقت أبوابها، على الرغم من أنها كانت حكومة تصريف أعمال..
تسلمنا الحكومة وفيها عجز بالميزانية فقد كان فيها نحو 324 مليون دولار، ونحن سلّمنا للحكومة اللاحقة أربعة عشر مليار دولار ونصف المليار، أما العقود وتفشّي الفساد في الحكومة السابقة فقد صلت إلى درجة أن أحد الوزراء يأخذ مليوناً وربع المليون دولار والحكومة - للأسف الشديد - تبرّر ذلك بالمصلحة الوطنية..
تسلمنا من الحكومة السابقة أزمات في العلاقات السياسية مع تركيا وإيران ودول الخليج وسورية والكويت، فقسّمنا الجهد الحكومي بين إدارة الدولة ورأب الصدع مع دول الجوار الجغرافي، وتجسير العلاقة معها.

المقدم: لكنك لم تذكر المشكلة السياسية الداخلية مع الكرد، علماً أن البعض يقول: إن سبب الإطاحة بكم وعدم تسلّمكم الحكومة كان كردياً ولاسيما بعد ذهابك إلى تركيا؟

الجعفري: ربما يكون هناك فعل من بعض الرموز الكردية، لكنها لا تمثّل الفعل الكردي العامّ؛ لأنه ليس بالضرورة أن يكون الرمز قائداً، نعم .. أنا أتعامل مع الرموز السياسية كافة، وأشعر أن بعضها أساءت سواء كانت كردية أو سُنية أو شيعية، وتعاملت بطريقة لا تصلح لأن ترقى إلى مستوى الوطنية العراقية، فقد فكروا بالمَدَيات الشخصية والحزبوية، ولم يفكروا بالمدى الوطني العراقي.. فكروا بحجمهم في الحكومة، ولم يفكروا بحجم البلد..
أدرك جيداً أن بعض الشخصيات الكردية أخطأت في طريقة التعبير عن حقوق الكرد، وغلب عليها التنافس.

المقدم: بعد 2003 عادت أحزاب المعارضة، وتشكلت أحزاب أخرى، وكلها شكّلت تحالفات كبيرة للدخول في المعترك الانتخابي.. هل استطاعت هذه التحالفات أن ترقى إلى مستوى الدولة العراقية بحاضرها ومستقبلها، وكل طوائفها وقومياتها وديناتها؟

الجعفري: أنا أفهم أن التحالف عملية تقوية، ويوفر فرصة كمّية ونوعية، ويُحدِث تحوّلاً عملياً في الإطار المجموعي، فالتجمّعات تكون لها فرصة التأثير والفعل أكثر من الفرادى، غير أن الواقع كشف شيئاً آخر وهو أن الكثير من التحالفات تنطوي على تنافر، فهناك تحالفات سرعان ما تفتت في داخلها، وما استطاعت أن تقدّم نظرية للتعامل مع الكتل الأخرى، وهذه الظاهرة مُنيَت بها جميع الكتل السياسية.

المقدم: يعتقد البعض أن تحالفكم مع الصدريين هو الذي أدى إلى عدم قطافكم ثمار انتخابات مجالس المحافظات، وكيف تنظرون إلى نجاح ائتلاف دولة القانون في مجالس المحافظات؟

الجعفري: لم يكن هناك تحالف بيننا وبين الصدريين، وهذا الكلام ليس من موقع التنصّل.

المقدم: لكنهم مُقرَّبون لك، وأنت تتبنّاهم؟

الجعفري: بكل تأكيد.. أنا رجل نذرت نفسي لخدمة الوطن العراقي، ولا قيمة لوطن بدون مواطنين، ولا قيمة لأن نضحّي من أجل الوطن، ولا نضحّي من أجل المواطنين.. حرصي على الصدريين كما هو حرصي على غيرهم، أما الهياكل والرموز فلها حديث الواقع العراقي، وحين أجد أي شريحة مجتمعية عراقية تحمل فكراً معيّناً يجب أن أحترمه وأحترم رموزه المنبثقة عنه.
ما حصل في انتخابات مجالس المحافظات.. أعتقد أن هناك تصويت فعل وتصويت ردود فعل، تصويت الفعل ينطوي على قناعة وحب، وتصويت ردود الفعل كان ينطوي على خوف من الآخر وكراهية له، فبعض التصويتات لم تعبّر عن حب، ولا عبّرت عن فعل إنما عبّرت عن كراهية للآخر فصوّتت للمضاد..
على سبيل المثال ما حصل في الموصل فقد كانت هناك خشية من ظاهرة التكريد؛ فصوّت المصوّتون بطريقة تغاير قناعاتهم، وكذلك الحال في الأنبار وبغداد وكربلاء والجنوب..
أعني أن التصويتات ما كانت عت تراكم معرفي ثقافي، ولا عن إيمان برمزية معيّنة بقدر ما كانت عن مخاوف تعتمل في نفوس المواطن.
المواطن وبحسب القانون الاجتماعي يتحدث بلغة الملموس، ويريد أن يرى الأداء قبل الخطاب.

المقدم: لكن هناك تراجع واضح وملموس في نسبة الناخبين، كيف تقرأونه؟

الجعفري: سبب هذا التراجع هو؛ لأن المواطن يتحدث بلغة الملموس، لا لغة المقروء.. المواطن يريد أن يرى الكهرباء في كل بيت.. يريد مستشفى ومصنعاً.. يريد تقدُّماً في مستوى الخدمات.. يريد معالجة البطالة والظواهر الاقتصادية الضارة.. يريد القضاء على الفساد والمفسدين.. يريد استقرار الوضع الأمني، لكن

ذلك لا يعني الانكفاء على العملية الانتخابية، واعتبارها من غير جدوى، ومن ثم مقاطعتها؛ لأن المقاطعة تكريس لكل تلك الظواهر، وتلك هي الخسارة الكبرى.

المقدم: أنتم كتيار إصلاحي تريدون المتابعة والمراقبة، وتفضحون الفساد والمفسدين؟

الجعفري: نحن نتحمّل المسؤولية على الصُعُد كافة، على مستوى الخطاب الإصلاحي وتنوير المسؤولين بوجود ظواهر خلل وفساد، وقد كان لنا مواقف عدة، منها: الاتفاقية الأمنية التي لم نكن معها جملة وتفصيلاً، ولم نكن مع طريقة التعامل في مسألة ملف كركوك وما حصل في المصالحة الوطنية، وكانت لدينا ملاحظات كثيرة وكثيرة جداً في إدارة الملفات وإحداث التوازن المذهبي في توزيع المسؤوليات، أما على مستوى الأداء فقد كان أداؤنا سابقاً لخطابنا، وقد قلت في مستهل الحوار: إننا نتحمل المسؤولية، ونتعاطى وفق مبدأ الإصلاح في مختلف المستويات.

المقدم: كيف ترى أن ينتهي موضوع كركوك، هل سينتهي بالتطبيع، أم ينتهي بتصويت معيّن أم يذهب الكرد بمشروعهم؟

الجعفري: كركوك عراقية؛ لأن المجتمع الكركوكي متنوع الخلفيات، ويجمعهم العراق عرباً وكرداً وتركماناً وآشوريين.. المجتمع الكركوكي مجتمع متعدد الهوية، وليس أحادي الهوية كالسماوة ودهوك؛ فمن غير الصحيح أن ندوّر تجربة السماوة أو دهوك في كركوك.. يبقى الجامع لهذ التنوع هو الوطنية العراقية لا غير.

المقدم: لكنها استُثنيَت حتى من التصويت في مجالس المحافظات؟

الجعفري: بسبب خصوصياتها، ولأنها متنوعة من الناحية البنيوية الاجتماعية فلابد من الاستعانة بصيغة وهيئة إدارية ونظام إداري خاص يتنوع بتنوع هذه التركيبة، ويحفظ لها خصوصياتها.

المقدم: هل من حلّ لقضية كركوك في رأيك؟

الجعفري: الحلّ هو، صيغة إدارية تشريعية للمدينة تراعي المركبات المتنوعة لكركوك.

المقدم: هل يوافق الكرد على هذا الموضوع؟

الجعفري: نريد الكرد والعرب أن يوافقوا جميعاً، ويلجأوا إلى عمل ديمقراطي يُولـَد من رحم المجتمع الكركوكي.. كركوك مدينة متعددة في مجتمعيتها، ويجب أن نستحدث صيغة إدارية وتشريعية تراعي خصوصيتها.

المقدم: كيف ينظر الدكتور الجعفري إلى موضوع المصالحة الوطنية، وعودة حزب البعث المنحل، وهل فعلاً أن العراق لا ينجح، ولا يخرج من مأزقه إلا عن طريق المصالحة لا عن طريق الدستور؟

الجعفري: المصالحة الوطنية ليست بديلاً عن الدستور، كما أنها ليست تحدّياً لإرادة الشعب، فالدستور نصّ بشكل واضح على أنه لا عودة للحزب الصدّامي إلى الحكم، لا فكر؛ لأنه يروّج للصدّامية، ولا ممارسة كالذي حصل سابقاً، فهناك فرق بين البعثيين وحزب البعث، حزب البعث انتهى، وهذا رأي دستوري والشعب العراقي هو الآخر أعطى كلمته، فلا نحوّل المصالحة الوطنية إلى عملية تشريعية مقابل الدستور، وإلى واقع في مقابل إرادة شعب اكتوى بنار هذا الحزب.
يبقى كيف نتعامل مع البعثيين، فالمصالحة الوطنية تشمل الذين يحملون صفة فصائل المقاومة المتعددة بعيداً عن حزب البعث أما أن يكون هناك أشخاص بعثيون هم الآن موجودون في دوائر الدولة المختلفة بمرأى ومسمع المسؤولين الكبار، فلابأس ما لم يكونوا قد ارتكبوا عملاً إجرامياً.
من ارتكب منهم عملاً إجرامياً نتعامل معه وفق الصيغ القضائية المتحضرة الصحيحة، أما ماعدا ذلك فأنا أعتقد أن البعثيين وهم كُثُر استبُعِثوا بالقوة والجبر، ويجب أن نفتح لهم أبواب العودة إلى أحضان الشعب.
المصالحة الوطنية تأتي على حامل السلام، وتعطيه حقوقه المشروعة، وتأخذ منه التزامات وطنية مشروعة؛ حتى يتحول من حامل سلاح إلى حامل قلم، من إنسان خارج العملية السياسية إلى داخل في الحياض السياسي.

المقدم: كيف تنظرون إلى المشهد العراقي بعد خروج القوات الأميركية، وهل ثمة خروج مُجدوَل بتواريخ محددة أم إن هناك مأزقاً جديداً سيواجهه العراقيون؟

الجعفري: ابتداءً كل بلدان العالم لا تقبل بتواجد قوات أجنبية فيها؛ لأن وجودها يعني وجود نقص أو عجز من الناحية الأمنية، ويوجد إرهاب ومشاكل وعدم قدرة ذاتية لقوات ذلك البلد على ملء الفراغ؛ فتستعين بغيرها.
نحن نرفض وجود قوات أجنبية في العراق، ونريد، ونعمل على التسريع في خروجها، أما المدى الزمني لذلك الأمر فهو جدول وتأريخ قدرة القوات المسلحة العراقية على ملء الفراغ، وكان ممكناً أن تتم الآن، فواقع الأحداث برهن أن القوات المسلحة العراقية استطاعت أن تنمو بشكل مطرد من حيث الكم والنوع والتجهيز والأداء، نعم نحتاج للمساعدة العربية أو الأجنبية للتدريب والتجهيز وتسهيل المهمات؛ حتى ترتقي قواتنا إلى مستوى الكفاف الأمني، ولا نحتاج لأن تمارس تلك الدول دوراً بديلاً عنا.

والتاريخ يحدثنا أن البرازيل رفضت وجود القوات البرتغالية في أرضها باحتلال، وأن أميركا رفضت وجود القوات الأجنبية الألمانية لاحتلال فرنسا عام 1945، والكويت رفضت قوات الاحتلال الصدّامية، وغيرها، فمن حقنا أن نرفض، ولا ينبغي أن نُسأل عن سبب الرفض، فهو واضح، نريد قوات عراقية تحقق اكتفاءً ذاتياً يكون فيها المواطن هو نفسه رجل الأمن وهو نفسه المدني الذي يتعاون على إرساء الأمن.

المقدم: لكن البعض يعتقد أن السياسيين العراقيين لا يحققون اكتفاءً ذاتياً إلا بالوجود الأميركي، والبعض يعتقد أن العراقيين لم يبتّوا بقرار عراقي محض إنما في معظم تفاصيله كان قراراً أميركياً، كيف ترون؟

الجعفري: إذا كان قراراً أميركياً فنحن لسنا مُلزَمين به.. نحن مُلزَمون بالقرارات الوطنية العراقية، وإلا فلا نسمّي العملية السياسية بالوطنية؛ لأنها ستكون خالية من العقلية العراقية الخالصة، بل ستكون من الناحية العملية والأخلاقية مُرتهَنة، وليكن في علم من يرهن عقله بالأجنبي أن الإرادة غير العراقية لا تُوصِل البلد إلى ناتج غير الدمار والخراب.
نعم.. نريد علاقات مع الدول الأجنبية لكنها علاقات تبادلية قائمة على المصالح المشتركة.. كما لا نريد أن تبقى قوات أجنبية في العراق.. نريد وفي أسرع وقت ممكن أن نُمسك الملف الأمني الوطني بوساطة قواتنا الوطنية، ونُلغي صفحة التواجد الأجنبي، ويخرجون من العراق مشكورين.. لا نريد أكثر من هذا.

المقدم: كيف تقيّمون العملية السياسية في هذه الفترة أو الفترات المقبلة، هل سينعم المواطن العراقي بالأمان والخدمات بعد معاناة طويلة؟

الجعفري: الشعب العراقي شعب طموح وصبور فهو طموح لجهة أنه بعيد النظر ولديه طموحات ما أن يحقق شيئاً منها إلا انتقل إلى محطة جديدة، وصبور لجهة أنه حين يواجه مشاكل وعقبات لا ينحني، ولا يطأطئ رأسه، والدليل على ذلك الخمس والثلاثون سنة التي جثم فيها صدّام على صدر العراق.
لقد أثبتت تجربة الانتخابات السابقة أن العراقيين شعب واعٍ لم تضلّله الخطابات، ولا الإعلام المُغرض؛ لأنه شعب مثقف يتطلع إلى تحقيق متطلباته المشروعة.. أملي بالله تبارك وتعالى كبير وبهذا الشعب الذي قدّم كل بيت من بيوته أكثر من شهيد..
الشعب العراقي يستطيع أن يحقق أهدافه وإن أخذت بعض الوقت، إلا أنه يتنقل من حالة إلى أخرى أفضل منها، نعم.. في تفاصيل العملية السياسية هناك إحباطات وبعض الجوانب الخلل، لكنّ مُجمَل الحركة السياسية صاعد، ويرتقي نحو الأعلى.